

يا يوم لغتي .. أينك أم أيني عنك

قبل أيام كان يوم اللغة العربية العالمي الذي قُرِّرَ بأن يكون يوم 18 ديسمبر من كل عام "لأنه اليوم الذي أصدرت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 3190 في كانون الأول (ديسمبر) عام 1973، والذي يقرُّ إدخالَ اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة. بعد اقتراح قدمته المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية عند انعقاد الدورة 190 للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو" (1)

لست أدري هل مر هذا اليوم على سواي مثل ما مر باهتاً لا طعم فيه ولا لون، على كل حال لعل بعدنا عن محافل اللغة العربية في كثير من جناته اليانعة وأشجارها الباسقة جعل ما يتعلق بها غائبا ولعل لأمر أخرى ربما منها قوة تغلغل اللغة الإنجليزية في كثير من الجوانب خصوصاً العملية التي يقضي بعضها فيها أكثر مما يقضيه مع أسرته.

من نافل القول الحديث عن هذه الفاتنة الممتدة جذورها في كل الكون فلا يفلت من تراكيبها وألفاظه لا قوة فعل ولا سمو اسم ولا رشاقة وصف ولا تميز حال .. كيف لا وهي لغة القرآن الكريم ولغة خير خلق الله أجمعين محمد صلى الله عليه وآله والتي كشف عن جواهرها الإعجازية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأروع ما يكون.

نحن ضعفاء في التلذذ بالنظر والتذوق "إلى و بـ" حداثتها وثمارها وأشجارها الباسقات .. سواء من ناحية دينية في

القرآن الكريم

والروايات النبوية التي عرفت بجوامع الكلم

وكذلك بالبلاغة في النهج لأمير البلاغة وعرابها الأوحى

وكذلك روايات الأئمة التي حوت العلم والحكمة.

وكذلك في الجوانب الأخرى من الفنون:

الشعر

والقصة

والخطبة

المقالات .. وغيرها

نعم هذا شغف لا يُوجد له أحد إن لم نُرد إيجاده في أنفسنا وكما قيل "إن لم تكن حليماً فتعلم" فإن لم تكن محباً لها احتك مع محبيها والمتلذذون حتى بسعفها وأوراقها والتربة التي تنمو عليها أعشابها

وأشجارها وتجري فيها مياهها لتعرف طرقها ومداخلها ومخارجها لعلك ترى بها ما لا عينٌ رأت ممن لا يستخدمونها .

فهل هذا ترف ثقافي أم لا حاجة إليه؟ أظننا نحتاج إلى التأمل لإجابة عنه.

عموماً .. هذه الدرة النفيسة التي لا توجد لغة في العالم أجمع تفوقها وقيل أنها لغة أهل الجنة أصبحت تتفلت من بين أيدينا وربما بعض ذلك متعمد كما نراه في الإعلانات وبعض المقاطع التي تخاطبنا بلغة خاطئة وبائسة ذبحة قواعد اللغة من الوريد إلى الوريد. وكذلك في مفرداتنا مثلا لا نقول مجموعة كذا على برنامج كذا بل نقول "قروب" وهي مفردة انجليزية كما نعلم "Group". قد نراها نقطة تافهة إلا أن المفردات العربية هكذا تتلاشى للحد الذي نعرف المفردة المعربة وننسى المفردة العربية الأصلية.

لست أدري سيصدق قول حافظ بن إبراهيم أم لا:

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَالْتَّهَمْتُ حَمَاتِي
وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَالْحَتَّسَبْتُ حَيَاتِي

رَمَوْنِي بِرَعْمٍ فِي الشَّابِ وَاللَّيْتَنِي
عَقِمْتُ فَلَمَّ أَجْرَعُ لِقَوْلِ عُدَاتِي

وَلَدْتُ وَلَمَّ لَمَّ أَجِدُ لِعَرَائِسِي
رَجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي

وَسَرَعْتُ كِتَابَ اللّهِ لَفْظًا وَغَايَةً
وَمَا ضَرَفْتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ

فَكَيفَ أَضِيقُ اليَوْمَ عَن وَصْفِ آلَةٍ
وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءِ لِمُخْتَرَعَاتِ

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ
فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَّاصَ عَن مَدَفَاتِي

فَإِذَا وَجَعَلُوا لَكَ تَبْلِيغَ مَا حَاسِنِي
وَمَا مِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَصَاتِي

فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي

همسة

إن كنت تحب الشعر فتشاعر بكتابته لتبقى على تماس مع اللغة وكذا في المقالات والقصة وجميع الفنون الأخرى أو ما سوى ذلك من بحوث علمية أداها اللغة العربية خصوصا القرآن الكريم الذي هو قمة اللغة بل هو اللغة الذي بمقارنته بلاغته مع بلاغة نهج البلاغة تنير لك كم هو "ليس كمثله شيء" في اللغة وهذا ما أراده الله تبارك وتعالى وهو أحكم الحاكمين.